الخالديّان

هما الأديبان الشاعران الموصليّان ابو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم ابن وَعلة بن عُمرام بن يزيد بن عبد الله بن عبد منبّه بن يثربي بن عبد السلام ابن خالد بن عبد منبّه من بني عبد القيس [1] كان أصلهما من الخالدية قرية من أعمال الموصل فنسبا إليها [1] .

لم يذكر المؤرخون والمترجمون لهما تاريخ ولادتهما إلا اننا نعرف أن أبا بكر، وهو أكبرهما سنّاً، توفي سنة ثمانين وثلثمائة [2] وأبا عثمان في حدود الأربعمائة [3]، يضاف الى ذلك ما عثرنا عليه، كما سنذكر فيما بعد، من سماعهما عن العلماء والرواة المتوفين في الربع الأول من القرن الرابع أعني ابن دريد (المتوفى ٣٢١) وجحظة (المتوفى ٣٢٤) وابن الخياط النحوي (المتوفى ٣٢٠) فلا نبعد عن الصواب إذا قلنا إنهما وُلدا في أواخر المائة الثالثة أو مستهل المائة الرابعة على كل حال.

ولعلّ أبرز ما يخصّ حياة الأخوين أنه كان يجمعهما، كما يقول الثعالبي، «من أخوة الأدب»، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب، فهما في الموافقة والمساعدة، يحييان بروح واحدة، ويشتركان في قرض الشعر وينفردان، ولا يكادان في

---

(١) البلدان «الخالدية» والوافي بالوفيات نسخة دار الكتب المصرية رقم تاريخ ١٢١٩ الجزء الرابع ٣/٣١٤ وانظر قول السري الرفّاء:

فقدت نبيط الخالدية تدّعي شعري وترفل في حبير ثيابي اليتيمة ١/٤٧٤.

أمّا ما جاء في الفوات (ترجمة محمد) «وعلة بن عثمان بن بلال» فأغلب الظن أنه تصحيف.

(٢) الفوات وكشف الظنون ٧/٥٧٣.

(٣) كذا في الفوات (ط ١٢٩٩) ١/١٧٢ وذكر ياقوت في الأدباء ٤/٢٣٧ أن وفاته كانت في سنة إحدى وسبعين وثلثمائة وأظن فيه تصحيفاً [تسعين بدل سبعين ؟] بدليل ما جاء أن أبا عثمان عمل شعره وشعر أخيه قبل موته - الفهرست ١٦٩ وعنه في الوافي بالوفيات - مما يوهم أن موته هو كان متأخراً عن موت أخيه. ولا أدري من أين استمد بروكلمن ١/١٤٦ قوله بوفاة أبي عثمان في ٣٥٠/٩٦١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحضر والسفر يفترقان »[١] وفعلاً قد اتسم بهذا الاشتراك في الحياة الأدبية ، الذي كان موضع الاستغراب والانكار من أبي العلاء المعري [٢] كلّ ما وصل الينا من مؤلفاتهما أو ورد عنهما من رواية وشعر في المجاميع والكتب الأدبية حتى انه لا يسع الباحث والكاتب إلا أن يتكلم عنهما جملة واحدة .

يمكن لنا أن نقسّم حياة الخالديّين الى ثلاث فترات : الأولى منها تمتدّ من بدء الشباب الى أن التحقا بسيف الدولة . والثانية هي فترة منادمتهما لسيف الدولة من جهة واتصالهما الوثيق بابي اسحق الصابيّ وحظوتهما عند الوزير المهلبي من جهة أخرى أما الثالثة فهي ما بعد وفاة سيف الدولة والوزير المهلبي الى انتهاء العمر .

يظهر أنّ الخالديّين دخلا بغداد في مقتبل الشباب كطالبين للعلم فأخذا عن ابن دريد وجحظة والصولي (المتوفى ٣٣٥) وأبي بكر أحمد بن منصور المعروف بابن الخياط النحوي الذين يرويان عنهم في كتابهما « الأشباه والنظائر[٣] » ثم لم يلبثا أن بدأا يتردّدان على مجالس الكبراء ووزراء الدولة مثل الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر ابن الفرات الذي نجد « الخالديّ » (؟)

يستمع الى المناظرة التي جرت في حضرته بين متّى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي في سنة عشرين وثلاثمائة [٤] .

لا ندري بالضبط متى انضمّ الخالديان الى حاشية سيف الدولة الذي ملك

---

(١) اليتيمة ١/٥٠٧

(٢) رسالة الغفران ، امين هندية ٧ - ١٣٦ ، كامل كيلاني ٣٠ - ٢٩ : « ولهما (أي الخالديّين) ديوان ينسب اليهما لا ينفرد فيه أحدهما بشيء دون الآخر الا في أشياء قليلة وهذا متعذر في ولد آدم اذ كانت الجبلة على الخلاف وقلة الموافقة ، فاما أن يعمل الرجل شيئاً من كتاب ثم يتمه الآخر فهو أسوغ في المعقول من أن يجتمع عليه الرجلان » .

(٣) النسخة المغربية بدار الكتب المصرية آداب رقم ١٧٠٩ : ابن دريد ٤٣ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٧٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٣٤٢ ، ٣٥٧ ، جحظة ٣٠١ وايضاً الأدباء لياقوت ١ / ١٥٧ . الصولي ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٧ . ابن الخياط ٢٣٧ ، ٢٧٣ .

(٤) الأدباء لياقوت ٣/١٠٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حلب سنة ٣٣٣ إلا أنهما حضرا مجلسه أيام اتصال المتنبي به ٣٣٧ — ٣٤٦ [١] ومما لا شك فيه أنهما أصبحا قبل مضي وقت طويل من «خواص شعرائه» وفي مقدمة ندمائه وتوليا أيضاً الاشراف على خزانة كتبه [٢] وحظيا منه بالهدايا والأموال [٣] وقد انفرد أبو العلاء المعري، من بين المصادر التي بأيدينا، بالقول بأنهما انصرفا من عند سيف الدولة «على حدّ مغاضبة» [٤] فكأن الزمن قد طوى تفصيل هذا الحادث مع ما طواه من أخبارهما وآثارهما.

وكان الخالديان على اتصال وثيق أيضاً بالوزير المهلبي، ويرجح أن الصلة إنما قويت واشتدّت حينما تقلد ابو اسحق الصابي ديوانَ الرسائل سنة ٣٤٩، وكان الصابي، كما سنبين ذلك فيما بعد، شديد الاعجاب بالخالديّين يحفظ جانبهما عند الوزير المهلبي ويناصرهما ضدّ السري الرفّاء مما أدّى الى رجوعهما الى بغداد قبل وفاة المهلبي [٥].

توفي الوزير المهلبي سنة ٣٥٢ ولا نسمع شيئاً عن حياة الخالديّين فيما بعد.

إنّ من أشهر ما عُرف به الخالديان مهاجاة الشاعر السري الرفاء لهما وادّعاءه سرقة أشعاره عليهما، وقد نمى أمر هذه المشاجرة الى حدّ أن صار «أفاضل الشام والعراق فرقتين إحداهما وهي في شق الرجحان تتعصب عليه لهما لفضل ما رزقاه من قلوب الملوك والأكابر والأخرى تتعصب له عليهما» [٦] ولا شك أن من أهم وأقوى أنصار الفرقة الأولى أبا اسحق الصابي الذي وصف شعر

(١) الصبح المنبي (على هامش المكبري، الشرفية ١٣٠٨) ١/١٧٣.
(٢) اليتيمة ١/١٣ والفوات (ط ١٢٩٩) ٢/٢٧١.
(٣) ايضا درة الغواص ٦٢.
(٤) رسالة الغفران، امين هندية ٧ — ١٣٦، كامل كيلاني ٢٩ — ٣٠.
(٥) ديوان السري — نسخة دار الكتب المصرية أدب رقم ٤١٦ — ٥٠ و ٢٤٧. أيضا اليتيمة ١/٤٧٤ و ٤٧٥.
(٦) اليتيمة ١/٩ — ٥٠٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخالدي الأصغر بقوله : « شعر يختلط بأجزاء النفس لنفاسته ، ويكاد يفتن كاتبه لسلاسته »[1]. والذي قال في الأخوين :

١ أرى الشاعرين الخالديين سبرا قصائد يفنى الدهرُ وهي تُخلَّدُ
٢ جواهر من أبكار لفظ وعونه يقصِّر عنها راجزٌ ومُقصِّدُ
٣ تنازع قوم فيهما وتناقضوا ومرَّ جدالٌ بينهم يتردَّدُ
٤ فطائفة قالت سعيدٌ مقدَّم وطائفة قالت لهم بل محمَّدُ
٥ وصاروا الى حكمي فأصلحت بينهم وما قلتُ إلا بالتي هي أرشدُ
٦ هما في اجتماع الفضل زوج مؤلَّف ومعناهما من حيث يثبت مفرَدُ
٧ كذا فرقدا الظَّلماء لما تشاكلا علاً أشكلا هل ذاك أم ذاك أمجدُ
٨ فزوجهما ما مثله في اتفاقه وفردهما بين الكواكب أوحَدُ
٩ فقاموا على صلح وقال جميعهم رضينا وساوى فرقد الأرض فرقَدُ[2]

وهاك دليلاً ليس بعده دليل على ما قام بين الخالديين وبين الصابيّ من علاقات الودّ والصفاء وحفظ الغيب والمحاباة وهو الخطاب الذي وجهه الصابي اليهما وهذا نصه كما ورد في رسائله (نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة تحت رقم أدب ١٥٢٧ ص ١٦٤ الى ١٦٧) وفي « جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام » لأبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري (نسخة دار الكتب المصرية ادب ٩٢٢٣) ص ١١٣ :

« لو كان لكما ـ أيدكما الله ـ خصم يجتمع له شعر البحتري ، وغناء ابراهيم ابن المهدي ، وكتابة جعفر بن يحيى ، ومذاكرة الأصمعي ، وظرف عريب ، وطيب عشرة [أحمد] بن[3] حمدون ، وحسن وجه الأمين ، ووصلته بي أوكد حرمة ، وضمته الي أقوى عصمة ، لبتت حبائله ، وقطعت قرائنه ، وانعكست

(١) من غاب عنه المطرب ص ـ ٢٣٤ .
(٢) اليتيمة ١/٥٠٨ ، منها خمسة ابيات في الأذكياء ١/١١٣ (ط ١٣٠٦ هـ) .
(٣) سقط من الجمهرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

محاسنه عندي [مقابح][1]، وفضائله في نفسي معائب، وما كنت إلا حربا له وإن سالمني، نائيا عنه وان برّني، هاجراً له وان وصلني، فكيف ظننتما بي مساعدة سريّ الشاعر على عداوتكما، والرضا بطعنه عليكما، ولم وضعتما عهدي في هذه المنزلة من الضعف، ومودّتي في هذه الرتبة من الوهن، ومتى رأيتماني أرعى أحداً سمعاً في ذم صديقي ومساءته، وأضرب صفحاً عن حراسته وخلافته، وهل عرفتما من طبعي على طول الصحبة، واختبرتما من مذهبي على تقادم الألفة، ما يقرّبني عندكما من ظنة ومجنة، ويدنيني [إلى وهاء][2] ذمام وعقدة، [ألا][3] دفعتما ذلك لمّا قيل لكما، وكذبتما مؤدّيه اليكما، أما والله لو تواتر اليّ عنكما قبيح يرتفع فيه الشك، ويقع بتناصره العلم، لخرجت في قبوله عن الاجماع، ورضيت في دفعه بالانفراد، ولما حكّمت من ثقتي بكما تهمة، ولا سأطت على يقيني فيكما شبهة، وقد [كتبت][4] على عجلة، لا أقدر [معها][5] على أكثر من [هذه][6] الجملة، التي هذا الكتاب مشتمل عليها، وناصح عنى بها، واذا اجتمعنا باذن الله بلغت من عتابكما ما في نفسي، وشفيت من تأنيبكما صدري، باذن الله، نعم أيدكما الله تأدّى إليّ عن سريّ كلامه فيكما، وطعنه عليكما، وأنا إذ ذاك لا أجمع بين اسمه وشخصه، فكنت أتلقى الحكاية عنه بالردّ، وألقم راويها الحجرَ وأعتدهما جميعاً من ضرائر الحسناء، ثم سُئلتُ استماع شعرٍ مدحني به فلم أجب الى ذلك إلاّ بعد أن شرطت أن لا يقرع سمعي منه ذكر لكما بسوء ولا إشارة فيكما الى [غمز][7]، فبذل من نفسه ذلك وتجاوزه الى طلب الصلح وجنح الى السلم ونجع بطاعتي في الامساك عن كلّ سالف والاغماض عن كلّ ماضٍ وامتثال أمري [في الانتقال][8] عن عداوتكما إلى مودّتكما، والانصراف عن مخالفتكما إلى موافقتكما، ثم حضر فقال مثل الرسالة

(١) الجمهرة : قبائح .
(٢) الجمهرة : كنت .
(٣) الجمهرة : من وفا .
(٤و٦) سقط من الجمهرة .
(٣) الرسائل : والا .
(٧) الجمهرة : عمرو .
(٨) سقط من الجمهرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأحضرني قطعة من شعره فيها أشعار لكما فأخرجتُ ما عندي من نُسخها وجعلت أناظره ويناظرني ، وأردّ عليه ويدّعي [عندي] (١) فلما طال ذلك عرفته أنه قد نقض الشرط بيننا ، و [فسخ] (٢) الأصل الذي عليه اجتمعنا ، فعاد الى الامساك ووقف على انتظار الاجتماع ، وظننت أنني قد عملت عملاً [تحمدانه] (٣) في استصلاح فاسد عليكما ، وردّ شاذ عنكما اليكما ، وأحضرني عدّة قصائد الى الوزير [أطال الله بقاءه] (٤) قد كان رفع نسخا لها الى جماعة من حاشيته [أيده الله] (٥) ليوصلوها ، فتخوفت أن تصل من جهة غيري ويُعادّ عليه من هذا الخوض ما يتحامل فيه عليكما ويخالفُ ايثاري فيكما ، فعرضت بعض القصائد وذكر له بعض الحاضرين ما بينه وبينكما من هذه المشاجرة ، فقال [أدام الله عزّه] (٦) بهذا اللفظ : [قد كثر في] (٧) الشعراء من يسمو الى منازعتها ويترس بمجاذبتها ولم يصل هو اليه ولا عاد له ذكر عليه ، هذا أبدكما الله شرح ما جرى ، والله ما حذفت [ما] (٨) أستحييكما منه ، ولا زدت ما أصانعكما به ، فان كان مقبولا فقد اتفقنا ، وان كان مردودا [فالموافقة (كذا ، المواجهة أو المرافعة ؟) توضح الشبهة] (٩) ، والدلالة ترجح (تُزيح) العلة ، والاجتماع عن قريب يأتي على ذلك كله ، وإن اعتذرتما اليّ من تسرّعكما الى الريب ، وعجلتكما الى الشك سامحتكما وقبلت عذركما ان شاء الله » .

هذا وقد صدّق رأي الصابي في الخالديّين شخصية أخرى لها مكانتها في الأدب وهي الثعالبي بقوله : « ... ما منهما (اي الخالديّين) إلا محسن ينظم في سلك الابداع ما لفاق وراق ، ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام والعراق » (١٠) ومما يجدر بالملاحظة في هذا المقام ان الثعالبي انما اكتفى

(١) سقط من الجهرة . (٢) الجهرة : نسخ . (٣) سقط من الجهرة .
(٤ و٥) سقط من الجهرة . (٦) الجهرة : أيده الله .
(٧) الجهرة : مذكر من . (٨) الجهرة : ولا . (٩) سقط من الجهرة .
(١٠) اليتيمة ١/٥٠٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بتسجيل ادعاء السري سرقة أشعاره على الخالديّين دون أن يؤيده بكلمة من عنده [١] ولا نعرف أحداً شهد عليهما بذلك غير ابن النديم فإنه قال : « وكانا ... اذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه حياً أو ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كانت طباعهما » [٢] والآن سنحاول أن نتبين مدى الصحة واستقامة هذه الآراء في حدود ما تناقل الينا من الأخبار والأشعار على قلتها .

يبدو أن منشأ المشاجرة بين السري والخالديّين لم يتعدّ المنافسة على الحظوة عند الملوك والأمراء فان هناك قطعة في ديوان السري تنبئ عن تعاشر ودّي في ظل واحد وهي هذه التي قالها « ليستدعي سعيد الخالدي الى الحمام ويصفه :

أسعيد هل لك في زيارة منزلٍ تثني عليه جوانح الزوّار
ينضو الحييّ الوجه ثوب حيائه فيه فيخطر كالحسام العاري
متقلباً في نعمة فضفاضة جعلت له عوضاً من الأطمار الخ [٣]

ومما يليق بالذكر في هذا الصدد أنه من المؤكد أن السري لم ينجح ، مع طموح شديد يتجلى واضحاً في شكاواه ، في اللحاق بمنزلة الخالديّين في تقدير كلّ من جمعه هو والخالديّين رحابه من الأمراء والأكابر ؛ أو لا ترى سيف الدولة كأنه يستخف بمناوأته حينما يقول له : « أهج الخالدي الأكبر والنسبة الى أنه كان يبيع دواء الفار وقد سميته قِنافاً » [٤] أما ما يتعلق برأي الوزير المهلبي والصابي فقد مضى ما فيه مقنع ، كذلك يتبين من فحص مناسبات شعر السري أن كثيراً من الذين كان يلجأ اليهم بالتظلم أمثال سلامة بن فهد وأبي الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي كانوا

(١) اليتيمة ١ .

(٢) الفهرست ١٦٩ وعنه في الوافي بالوفيات للصفدي وقد عاق ياقوت ٤/٢٣٧ على هذا الكلام بقوله : « وكلام ابن النديم هذا فيه موافقة للسري الرفّاء أو مجاراة له » .

(٣) ديوان السري ص ١٨٠ . والنظر الى قول ياقوت ٤ / ٢٣٦ : (وكان بينما (الخالديين) وبين السري الرفّاء الموصلي ما يكون بين المتناصرين من التغاير والتضاغن الخ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يشعرون بفضل الخالديّين عليه [١] كما أننا نقف على آخرين مثل علي بن العصب الملحي الشاعر واحمد بن ابراهيم بن فهد [٢] تناولهم السري بالهجاء لاشتهارهم بصداقة الخالديّين والتعصب لهما ـ كل هذا يدل على أن حقده عليهما كان ينمو ويزداد بقدر شعوره بالتقصير والتخلف عن مدى نجاحهما ولا سيما اذا كان ، كما يلوح لنا ، حسوداً بالطبع يحسد المتنبي [٣] وينافس ويهجو لا الخالديّين فحسب بل النامي (الذي كان عند سيف الدولة تلو المتنبي في المنزلة — اليتيمة ١/١٦٤ —) والتلعفري أيضاً [٤] .

---

(١) ديوان السري ٣٢٥ : « يمدح سلامة بن فهد ويعتبه على الحاقه الخالديّين في الشعر به:
« ألحقت بي في الشعر خدناً لكنة بكرا وراحا في البلاغة توأما » الخ .
٥٠ : « ... يخاطب ابا الخطاب للفضل بن ثابت الضبي الكاتب وهو صديقها « أي الخالديّين) .
٢١٩ : « يمدح أبا الحسن علي بن محمد الشمشاطي ويعتبه (يعتبه) على انحرافه عنه الى الخالديّين وتفضيله اياهما .

(٢) ديوان السري ٣٩ و ٢٧٨ واليتيمة ١/٤٧٨ . ديوان السري ١٤٣ : « يمدح ابا البركات لطف الله بن ناصر الدولة ويعرض باحمد بن ابراهيم بن فهد وكان يتعصب للخالديّين :
أشكو اليك حليفي غارة شهرا سيف الشقاق على ديباج أشعاري الخ .
انما لم يقع الينا ما ينبيء عن رأي ابي البركات لطف الله وأبي تغلب الغضنفر ابني ناصر الدولة مع اننا قد عرفنا رأي معلمها ونديمها أبي الحسن الشمشاطي .

(٣) جاء في الصبح المنبيء ص ٥٧ أنه لما أنشد المتنبي سيف الدولة قوله :
وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
قال السري هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون ثم انه جمّ في الحال حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام على ان السري قد استعمله بقوله :
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهنّ له دون النطاق نطاق
ومع أن هذه الرواية ربما تؤيد القول بوفاة السري في سنة ٣٤٤ (ابن خلكان ١/٢٥٢) لكنه قول ضعيف مردود يرجح عليه القول الآخر بوفاته بعيد سنة ٣٦٠ (الخطيب ٩/١٩٤ ، سنة ٣٦٢ والنجوم الزاهرة ٤/٦٧ والمنتظم وابن كثير ١١/٢٧٤ ، سنة ٣٦٠ ابن الأثير ٨/٢٠٤) والرواية تبدو عليها سمة من الصنعة والاغراق . على الرغم من هذا كله يمكننا ان نستدل بهذه الرواية على ان السري عرف في الثاني بالحسد .

(٤) اليتيمة ١/٤٧٧ ـ ٢١٦ . ديوان السري ١٢١ : قال يعرض بالتلعفري المؤدب :
بنافسني في الشعر والشعر كاسد حسود كباغ عن غايتي ومعانِدُ الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويتضح لنا من دراسة شعر السري في هجو الخالديين أنه كان يتهمهما (١) بادعاء شعره والاغارة عليه و (٢) استرداد المديح أي مدح واحد بقصيدة ثم قلبها في غيره [١] . أما التهمة الأولى فإنما نعرف لها مثالين الأول ما تضمنته رسالة الصابي السالفة الذكر والثاني ما جاء في ديوان السري وهو ما يلي :

« وقال (اي السري) في أبي الحسن علي بن صدقة النحوي بعد موته ينسبه الى الحياكة ، وقال السري حدثه أبو اسحق ابراهيم الكاتب أن هذه القصيدة اللامية وأخرى الرائية في معناها ادعاهما الخالديان فأخذ كل واحد منهما واحدة وسافرا بها اليه ، قال قلت : الكلام واحد والمعاني قريبة بعضها من بعض وكأنها من كلام رجل واحد » [٢] .

هل نستطيع أن نجزم بشيء غير ان الصابي ، وكان ولا شك يتعصب للخالديين ،

---

(١) ديوان السري ٦٠ في مدح سلامة بن فهد والتعريض بالخالديين وكانا مدحاه بقصيدة ثم قلباها في غيره :

ولبست كا (كمن) يسترد المديح اذا ما كساه الكريم المثيبا
يحلي بمدحته غيره فيمسي محلّى ويضحي سليبا

والصدر نفسه ٦٩ : « يمدح الوزير المهلبي ويتظلم من الخالديين :

أضحى ابن فهد حريبا من محاسنه من بعد ما بذلت فيها حرائبه
وكيف تسحب وشيا قد تداوله قوم سواك فقد رثت مناكبه
لا يعجبنك دينار المديح ولم يضربه باسمك دون الناس ضاربه

(٢) ديوان السري ص ٢٨٤ والقصيدتان اللامية والرائية هما :

اللامية : خطوب تجور ولا تعدل وليس لنا دونها موئل
يقول فيها : واذ أنت في القر لا تصطلي نشاطا وفي الحر لا تفشل
تباكر مطرداً متنه تقيا كا اطرد الجدول
ومن فوق رأسك غرّيده صدوح كما صدح البلبل
وعيناك تبحث في سرعة رسولا بيسراك يستقبل
ورجلاك تصعد احداهما فراقا واحداهما تنزل

والرائية (ص ١٧٥) :

ذكرناك فانهلّت مدامعنا تترى مخبّرة عن كل ذي كبد حرّى
يقول فيها : عهدناك مخصوصا من البيت كله بمنزلة في الصدر أنت بها أحرى
تظل بها رجلاك في قعر وهدة اذا ما علت أحداهما هوت الاخرى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم يقتنع بما ادّعاه السري عليهما ؟ ولكن هناك دليلاً آخر يثبت أنّ عدم الاقتناع بتلك التهمة ضد الخالديّين لم يكن مقصوراً على الصابي بل تعداه الى كثيرين آخرين والاّ لما احتاج السري إلى «دس أحسن أشعارهما في شعر كشاجم»[1] وقد أخرج الثعالبي طائفة من شعر الخالديّين الذي نسب في بعض النسخ الى كشاجم لهذا السبب[2] وربما يهمنا أيضاً في هذا المقام هاتاك القطعتان اللتان يقول الثعالبي عنهما إنّ أبا عثمان كتبهما لنفسه وأخيه كما أنهما وجدتا مكتوبتين للسري بخطه هو الآخر في مجلدة استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد[3]

– وفوقك صفراوان (ان) شئت غدتا كذا كرمي فرخين شفّهما الذكرى
وكم أرسلت بنى يديك رسولها فما لبثته حين صافحها اليسرى
عجبت له طرفا يجر عنانه ولا ينشكى الأين ما بعد المسرى
يشق نقيّ المتن جعدا كأنه غدير تمشى الريح من فوقه حسرى

(١) اليتيمة ١/٤٥١ : – «وكان (أي السري) يدس فيما يكتب من شعره (أي شعر كشاجم) أحسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلي سعره ويشفع بذلك على الخالديين ويغض منهما ويظهر مصداق قوله في سرقتهما» .

(٢) اليتيمة ١/٥١١ – ٥١٤

(٣) القطعة الاولى في وصف الثلج واستهداء النبيذ :

يا من أنامله كالعارض الساري وفعله أبدا عار من العار
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله ثوبا يزر على الدنيا بازرار
نار ولكنها ليست بمبدية نورا وماء ولكن ليس بالجاري
والراح قد أعوزتنا في صبيحتنا بيما ولو وزن دينار بدينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا نارا فانا بلا راح ولا نار

اليتيمة ١/٤٥١ : ديوان كشاجم (بيروت ١٣١٣) ص ٩٠ ، الأربعة أبيات الاولى في ديوان السري ص ١٧١ . أما القطعة الثانية فهي :

ألذّ العيش اتيان الصبيح (القبيح) وعصيان النصيحة والنصيح
واصغاء الى وتر وناي اذا ناحا على زق جريح
غداة دجنة وطفاء تبكي الى ضحك من الزهر المليح
وقد حديت قلائصها الحيارى بحاد من رواعدها فصيح
وبرق مثل حاشيتي رداه جديد مذهب في يوم ريح

التالي : «هكذا بخط السري والذي بخط الخالدي حاشيتي لواه» اليتيمة ١/٤٥١-٢ ويلاحظ ان الرواية في ديوان كشاجم ص ٣٦ توافق وما جاء بخط السري دون ما ورد بخط الخالدي. والقطعة غير موجودة في ديوان السري الذي بايدينا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم علق الثعالبي على هـذه الحال بقوله : ولست أدري أأنسبها الى التوارد أم الى المصالتة ، ولكن أمر التوارد أو المصالتة ليس مقصوراً على ما بين الخالديين وبين السري لأن الأبيات بأعيانها موجودة في ديوان شعر كشاجم الذي بأيدينا مما يبعث على التساؤل : إما ان تكون الابيات لكشاجم وإلا فالمرجح أنها للخالديين لأن السري هو الذي عُرِف بنسخ ديوان كشاجم والدسّ فيه ولا يتصور أن يدسّ المرء أبياتاً لنفسه في شعر غيره ، وبناء على هذا فهل حاول السري دسّها في شعر كشاجم تارة وانتحالها لنفسه تارة أخرى ؟؟

هذا ما يتعلق بالغصب أي ادّعاء أبيات بأعيانها من الطرفين أما ما جاء من قبيل التوارد أو التسارق [1] فليس بمستغرب ولا مستنكر في جميع الأحوال ولا يمكننا أن نجزم بشيء فيما يتعلق به ولا سيما إذا كان بين المتعاصرين ، انما يكفينا أن نقبل ونعتمد على رأي الأعيان من أهل العصر وقد عرفنا أن كلهم أو جلهم كانوا يميلون الى الخالديين دون خصمهما كما أنه لم يقتنع لا الوزير المهلبي ولا سلامة بن فهد بالتهمة الأخرى ـ اعني استرداد المديح ـ التي نابذ السري الخالديين بها فإنهما ما زالا محتفظين بمكانتهما عند الجميع على الرغم من التهم والمساعي التي بذلها السري ضدهما .

ومن الغريب حقاً أنّ الأخبار التي بأيدينا لا تلقي ضوءاً على الخطة التي سار عليها الخالديان في درء التهم والردّ على الهجاء ومقابلة الدسّ والعداء اللهم إلا ما جاء من أنهما ثلباه وطارداه من حلب والموصل الى بغداد [2] ولكن مما

(١) التتمة ١/٥٠٩ - ٥١١ و ٥٢٢ - ٥٢٤ .

(٢) يقول الثعالبي في معرض الكلام عن حياة السري : « لما توفي سيف الدولة ورد السري بغداد ومدح المهلبي الوزير » اليتيمة ١/٥٢٤ وقد تبعه في ذلك ياقوت (الادباء ٤/٢٢٧) وابن تغري بردي (النجوم الزاهرة ٤/٦٧) ولا شك في ان هذا من أغلاط الثعالبي كما نبه مرجليوث على ذلك لان سيف الدولة توفي سنة ٣٥٦ اي بعد اربعة اعوام من وفاة المهلبي الوزير وقد أصاب الخطيب القول بأنه انحدر الى بغداد بعد ما « آذاه الخالديان أذى شديداً وقطعا رسمه من سيف الدولة وغيره » ٩/١٩٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا شك فيه أنهما انتصرا على السري في كل مكان حتى أنهما قطعا رسمه من سيف الدولة وغيره وآل به الأمر الى عدم القوت وركبه الدين في بغداد [١] وربما تمّ لهما ذلك بدون الالتجاء الى شيء مثل ما ارتضاه السري لنفسه من الوراقة والتدليس حينما مُنيَ بالفشل في محاولاته بالطرق السليمة .

ومع أن الخالديّين ربما اتهما بادّعاء شعر غيرهما حيّاً كان أو ميتاً فقد وردت الشهادة في ذيل اللآلي ص ١٠٤ بأنهما « ثقتان » ولا يخفى أنّ مرجع فضلهما في الغالب ما عدا ملكة الشعر الى كثرة الحفظ والرواية فاننا لا نراهما في المجالس الأدبية الا كمستمعَين فاضلَين ينبعان ما يدور فيها ولا غرو في ذلك فان المجالس التي اتفق لهما شهودها في بلاط سيف الدولة أو رحاب الوزير المهلبي كانت ولا شك تضم أعلاماً كباراً حق لهم أن يستأثروا بالكلام في مواضيع العلم والأدب وكفى للحاضرين شرفاً أن يكونوا قد اجتمعوا بهم . أما منزلة الخالديّين في الشعر فكانت ولا شك منزلة عالية جداً تلو الفحول أمثال المتنبي حسب رأي جهابذة العصر بدون أن نتكلف نحن الفصل في هذا الأمر .

بقي الكلام عن مزايا الخالديّين في حلبة التأليف وموعدنا به المقال الآتي إن شاء الله عن مؤلفهما المسمى بـ « كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين » الذي شغلني منذ أكثر من سنة والذي أرجو من الله أن يوفقني لنشره لأول مرة في زمن غير بعيد . إنما أكتفي في هذا المقام بايراد اسماء مؤلفاتهما الأخرى التي ورد لها ذكر في كتب التراجم والمجاميع الأدبية :

كتاب التحف والهدايا [٢] .

حماسة شعر المحدثين [٣] .

---

(١) المنتظم سنة ٣٦٢ ، الخطيب ١٩٤/٩

(٢) الوافي بالوفيات : « الهدايا والتحف » . منه نسخة بالية ناقصة في دار الكتب المصرية رقم ادب ش ٨٣ جمعا فيه في أحد عشر بابا ما قيل في التحف والهدايا من النظم والنثر .

(٣) الفهرست والوافي بالوفيات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب أخبار الموصل [١] .

كتاب اخبار ابي تمام ومحاسن شعره .

اختيار شعر البحتري .

اختيار شعر ابن الرومي .

اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره [٢] .

كتاب الديارات [٣] .

اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه [٤] .

هذا فضلاً عن ديوان شعرهما الذي مرَّ ذكره وقد جاء أيضاً في الفهرست ١٦٩ أنهما عملا شعر الخباز البلدي وفي ابن خلكان ٤٦/١ أن ابا بكر الخالدي روى عن ابي العباس الناشي أماليه التي أملاها بحلب .

وفي الختام أرى من واجبي أن أزجيَ أصدق الشكر الى استاذي ومرشدي العلامة عبد العزيز الميمني رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الاسلامية بعليكره (الهندستان) وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، الذي لا يزال يرسل إليَّ سحائب من توجيهاته بعد أن رمتني الأقدار بعيداً عن بحر علمه كما أنني أعترف بفضل المستشرق الشهير الدكتور كرنكو بكمبريج الذي لقيت منه بعض طلباتي عناية تامة .

(القاهرة) الدكتور محمد يوسف

---

(١) الفهرست والوافي بالوفيات ص ٤٧ الجزء الأول طبعة استانبول ١٩٣١ وترجمة أبي عثمان سعيد مخطوطة دار الكتب المصرية وكشف الظنون ١٩١/١ ، أورد منه ابن العديم في « تاريخ حلب » نسخة دار الكتب المصرية تاريخ ١٥٦٦ المجلد الأول اللوحة ٦٩ .

(٢) الفهرست والوافي بالوفيات . وذكر صاحب الخزانة ٣٩٦/٢ و ١٦٨/٣/١ « شرح ديوان مسلم » للخالديين .

(٣) الوافي بالوفيات والأدباء لياقوت ٢٠/٢ .

(٤) الأشباه والنظائر ١٧٣ و ١٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net